وَأيْسَرُ مِنْ كَفّي إذا ما مَدَدْتُها
لِنَيْلِ عَطَاءٍ، مَدُّ عُنْقي لِذابحِ[١]
فَيَا رَبِّ! لا تَجْعَلْ حَياتي مَذَمّةً
وَلا مَوْتتي بَينَ النِّسَاءِ النّوَائحِ[٢]
وَلكِنْ قَتيلاً يَدْرُجُ الطّيرُ حَوْلَهُ
وَتشرَبُ غِرْبانُ الفلا من جوَانحي[٣]

لائم للجعد لاح

قال في رجل من بني أبان بن عبد اللَّه بن دارم اسمه الجعد، وكان استعار من عنترة رمحاً فأعاره إياه، فأمسكه عنه ولم يصرفه إليه، فقال في ذلك:

[الوافر]

إذا لاقَيْتَ جَمْعَ بَني أبانٍ،
فَإني لائِمٌ لِلْجَعْدِ، لاحي[٤]

(١) ما يميّز الشاعر أنفة وكبرياء يحولان دون تسوّله عطاءً أو استعطافاً من حبيب، فأيسر من أن يُبيح لذابح أن يذبحه فيُريح امرأ ليس من طبيعته أن يقبل ضيماً.

(٢)، (٣) يخاطب الشاعر ربّه متمنياً عليه أن يقبل رجاءه ألّا يجعل حياته حياة بؤس وشقاء ومذلّة، وألّا تكون نهايته بين النساء النادبات بل أن يقتل في سبيل مثل عالية، فإذا بالطيور الكاسرة تدرج حوله تمزّق جسده وبغربان الفلا تشرب من دمائه التي تفيض بها جوانحه.

(٤) اللاحي: اللائم، الشاتم. يخاطب الشاعر من يقصد بني أبان متمنياً عليه أن ينقل رسالة مفادها أنه يلوم الجعد، وهو أحدهم، شاتماً ساخراً من فعله.

كـأنّ مُـؤشَّـرَ الـعَـضُـدَيـنِ، حَـجْـلاً،
هَـدُوجـاً، بَـيـنَ أقْـلـبَـةٍ مِـلاحِ[١]
تَـضَـمّـنَ نِـعْـمـتـي، فَـغَـدا عَـلَـيْـهـا
بُـكُـوراً أوْ تَـعَـجّـلَ فـي الـرّوَاحِ[٢]
ألَـمْ تَـعْـلَـمْ، لـحَـاكَ الـلّـهُ، أنّـي
أجَـمُّ، إذا لَـقـيـتُ ذوِي الـرّمـاحِ[٣]
كَـسَـوْتُ الـجَـعْـدَ، جَـعْـدَ بَـنـي أبـانٍ،
سـلاحـيَ بَـعْـدَ عُـرْيٍ وَافْـتِـضَـاحِ[٤]

(١) مؤشر العضدين: محزّز. هدوجاً: ماشياً في تهالك وارتجاف. أقلبة، واحدها: قليب: الآبار. مِلاح: مالحة الماء. يهجو الشاعر جَعْداً بأنه هزيل ضعيف قد شاخت عزيمته، فمشيته مشية حجل متهالك، لا يقدر على التماسك، كأنه يتنقّل بين آبار ماؤها مالح، فلا يمكنه الشرب منها.

(٢) تضمّن: تكفّل. يقصد بالنعمة الرمح الذي أعاره إياه فلم يردّه. حصل الجعد على رمح عنترة، وهو من أعزّ السلاح على قلب الشاعر وقد وعد بردّه، ولكنّ الجعد غصبه ولم يُعدْ إلى صاحبه، وقد فرّ مع الفجر مخافة أن يلحق به عنترة.

(٣) يوجّه الشاعر كلامه الجارح للجعد بدعاء الهلكة واللعن ويذكره أنه أجمّ لا رمح معه إذا واجه أعداءه في الحروب، وبخاصة إذا كان هؤلاء يمتلكون رماحاً؛ فهذا مظهر تفوّق ينفي التكافؤ بين المتقاتلين.

(٤) تبياناً لقيمة السلاح اعتبر عنترة أن السلاح كساء ساتر، فقد كسا الجعد سلاحه، والجعد لا وِقاء له فالعُرْيُ من طبيعته، وهو مشهور بين الناس أنه لا يملك سلاحاً، فإذا به يستعير سلاح الشاعر.